إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

وسُمِّي يوم المعاد باليوم الآخِر، لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم، كما سُمِّي هذا اليوم بيوم القيامة لأن الناس تقوم فيه لله جل وعلا، كما قال تعالى عنه ﴿يوم **يقوم الناس لرب العالمين**﴾.

أيها المؤمنون، إن الإيمان باليوم الآخر يتضمن ستة أمور، **أولها** النَّفخ في الصُّور، **وثانيها** بعث الخلائق، **وثالثها** حدوث علامات الساعة الكبرى الأخرى، **ورابعها** حشر الناس في أرض المحشر، **وخامسها** الحساب والجزاء، **وسادسها** دخول الجنة والنار.

١. عباد الله، **والنَّفخ في الصُّور هو أول علامات الساعة الكبرى،** وبه يكون الإيذان بيوم القيامة، والصُّور قَـرنٌ ينفُخُ فيه مَلَكُ الصُّورِ — وهو إسرافيل – نفختين، ففي الأولى يُصعقُ الخلائق كلهم ويموتون، دليله قوله تعالى ﴿وما ينظر هؤلاء إلا **صيحة واحدة** ما لها من فَواق﴾، أي: ما لها من إفاقة ورجوع للدنيا، ثم يُنفخ في الصور النفخة الثانية فيقومون من قبورهم، كما دل على ذلك قول الله تعالى ﴿فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون﴾.
فبالنفخة الأولى يموت الأحياء، وبالنفخة الثانية يحيي الأموات.
وقد جاء في التنزيل تسمية الصور بالناقور، كما في سورة المدثر ﴿فإذا نقر في الناقور﴾.

٢. ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر **حدوث علامات الساعة الكبرى،** ومن ذلك زلزلة الأرض، كما في قوله تعالى ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾، وقوله ﴿إذا رجت الأرض رجا﴾.

ومن علامات الساعة الكبرى تَشقُّق السماء كما قال تعالى ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدِّهان﴾، أي تكون كالجلد الأحمر، لأن الوردة حمراء، والدهان هو الجلد.

وفي آية أخرى شبَّه الله السماء في ذلك اليوم بالمُهل في قوله ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾، أي الشيء الذائب.

وفي ذلك اليوم تُطحن الجبال طحنا فتتفتت حتى تكون كالرمل المتهايل أو الصوف المنفوش، وكلا الوصفين متقارب، فأما طحن الجبال فمذكور في قوله تعالى ﴿**وبُسَّت الجبال بسا**﴾، وأما تفتتها فمذكور في قوله تعالى ﴿وتكون الجبال **كالعهن المنفوش**﴾ وقوله ﴿وكانت الجبال **كثيبا مهيلا**﴾.

وفي ذلك اليوم تُسيَّر الجبال عن أماكنها حتى تُرى كالسَّراب، قال تعالى ﴿وسُيرت الجبال فكانت **سرابا**﴾، وقال تعالى ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي **تمر مر السحاب** صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾.

ومن علامات الساعة الكبرى تكوير الشمس، قال تعالى ﴿إذا الشمس كورت﴾، وتكوير الشمس هو لَفُّها فتكون كالعمامة، ثم تُرمى فيذهب ضوؤها.[١]

ومن علامات الساعة الكبرى انكِدار النجوم، أي تساقطها بعدما كانت عالية في السماء، قال تعالى ﴿وإذا النجوم **انكدرت**﴾.

ومن علاماتها أيضا تسجير البحار فتكون نارا، قال تعالى ﴿وإذا البحار **سُجِّرت**﴾، فسبحان من بيده القدرة على قلب قوانين الطبيعة إلى خلافها بأمره الكوني القدري، قال تعالى ﴿إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾.

٣. ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر؛ **الإيمان بالبعث**، وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، والبعث حق ثابت، دل عليه الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُون * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ **تُبْعَثُون**﴾.

فعندئذ يقوم الناس لرب العالمين، حفاةً غير منتعلين، عراةً غير مستترين، غُرلاً غير مختونين، بُهماً، أي ليس بهم شيءٌ من العاهات التي تكون في الدنيا كالعرج والعمى ونحوها، قال الله تعالى ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ** وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

٤. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاعلموا رحمكم الله أن مِن مقتضيات الإيمان باليوم الآخر الإيمان **بحشر الخلائق إلى أرض المحشر**، والحشر هو سَوقٌ الخلائق بعد بعثهم من قبورهم وجمعهم في أرض المحشر، ودليل الحشر قوله تعالى ﴿وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه **تحشرون**﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا النبي (صلى الله عليه وسلم) يخطب فقال: يا أيها الناس، إنكم **تُحشرون** إلى الله حُفاة عُراة غُرْلاً.[٢]

فيُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء، عفراء[٣]، ليس فيها مَعْلَمٌ[٤] لأحدٍ[٥]، يُسمِعُهم الداعي[٦] ويَنفُـذُهُم البصر[٧]، كما جاء ذلك في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.[٨]

---

[١] انظر تفسير ابن جرير رحمه الله للآية.

[٢] رواه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

[٣] عفراء أي بيضاء بياضا ليس بالناصع. انظر «النهاية».

[٤] معلم أي علامة، كعلامات الطريق ونحوه، وقيل: المعلم الأثر. انظر «النهاية» لابن الأثير رحمه الله.

[٥] انظر صحيح البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

[٦] أي أنه إذا دعاهم داعٍ فإنهم يسمعونه كلهم لأن الأرض ليس فيها ما يمنع نفوذ الصوت من جدار ونحوه.

[٧] أي أن البصر يبلغ أولهم وآخرهم لاستواء الأرض وعدم تَكَوُّرِها. انظر «فتح الباري» شرح حديث (٤٧١٢).

[٨] برقم (٣٣٦١).

وفي ذلك اليوم يُحشر الإنس والجن والملائكة والبهائم، فأما حشر الإنس والجن فدليله عموم الآية المتقدمة، وأما حشر البهائم فدليله قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم **يحشرون**﴾، وقوله تعالى ﴿وإذا الوحوش حُشرت﴾.

وأما دليل حشر الملائكة فدليله قوله تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾، فالملائكة يُحشرون يوم القيامة بين يدي الرب صفوفا، ولكنهم لا يحاسبون، لكونهم مفطورين على القيام بما أمرهم الله تعالى به وعدم عصيانه، كما وصفهم الله تعالى بقوله ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾.

وبعد عباد الله، فهذه أربعة مقتضيات من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، لا يتحقق الإيمان باليوم الآخر إلا بالإيمان بها على سبيل الإجمال، وسيأتي الكلام على المقتضى الخامس والسادس في الخطب القادمة بإذن الله.

- ثم اعلموا رحمكم الله أن من أفضل أعمالكم يوم الجمعة وليلتها الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض عن أصحابه الخلفاء، الأئمة الحنفاء، وارض عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
- اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين.
- اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم هداة مهتدين.
- اللهم وفق جميع ولاة المسلمين لتحكيم كتابك، وإعزاز دينك، واجعلهم رحمة على رعاياهم.
- اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم.
- اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.
- اللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا، وعاف مبتلانا.
- اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.
- ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
- عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولَذِكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، لإلقائها في الخامس عشر من شهر ذي القعدة لعام ١٤٤٢، في مدينة الجبيل، في المملكة العربية السعودية، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، وهي منشورة في صفحة:
www.saaid.net/kutob

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

أيها المؤمنون، تقدم الكلام في الخطبة الماضية عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، واليوم نتكلم بإذن الله عن بعض تفاصيل ما يحصل في أرض المحشر.

عباد الله، ومما يحصل في أرض المحشر أربعة أمور:

١. فزع الناس، ودليله قوله تعالى في مطلع سورة الحج ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾.

ومن شدة ذلك اليوم وعظيم كَرْبه؛ فإن فهوم الناس تضطرب وتطيش في تحديد مدة لبثهم في الدنيا، فمنهم من يقول ﴿إن لبثتم إلا **عشرا**﴾، ومنهم من يقول ﴿لبثنا **يوما** أو **بعض يوم** فاسأل العادين﴾، وفي آية أخرى يقول الله عنهم ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير **ساعة**﴾.

ومن شدة ذلك اليوم وعظيم هوله؛ فإن الناس يذهل بعضهم عن بعض، قال تعالى ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾.

عباد الله، والذين يُصيبهم الفزع يوم القيامة هم أهل المعاصي من الكافرين والمبتدعين وعصاة المؤمنين، قال تعالى ﴿وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾، أما المؤمنون الكُمَّل فلا، وهم الذين قاموا بطاعة الله واجتنبوا ما حرم الله، فمن خاف الله في الدنيا أمَّنه في الآخرة، ومن أمِنه في الدنيا أفزعه في الآخرة، وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى، أنه لا يجمع على عبده أمنين ولا خوفين، فمن أمِنه في الدنيا أخافه في الآخرة، ومن خافه في الدنيا أمَّنه في الآخرة، قال تعالى عن المؤمنين الصادقين ﴿**لا يحزنهم** الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة﴾، وقال تعالى ﴿وهم من **فزع** يومئذ آمنون﴾، وقال تعالى ﴿أفمن يُلقى في النار خير أمَّن يأتي **آمنا** يوم القيامة﴾.

٢. ومما يكون في أرض المحشر دُنُو الشمس من الخلائق حتى تكون بمقدار مِيل، قيل مِيل المِكحلة، وقيل ميل المسافة، وسواء هذا أو ذاك فالشمس ستكون قريبة جدا من الرؤوس.[١]

فإن قيل: هل يَسلمُ أحد من الشمس؟ فالجواب نعم، هناك أصناف من الناس يَقيهُمُ الله شمس ذلك اليوم، منهم السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، وهو ظِلٌّ يَخلُقه الله عز وجل، وهو ظل العرش، فيتَّقي به أصناف من

---

[١] انظر صحيح مسلم (٢٨٦٤).

الناس شمس ذلك اليوم، جعلنا الله منهم، وهم إمام عادل، وشاب نشأ في طاعة الله، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل قلبه معلَّق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجُلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: (إني أخاف الله)، ورجُلٌ تصدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.[١]

٣. ومما يكون في أرض المحشر ورود الناس على حوض النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي في أرض المحشر، فيشرب منه المؤمنون المستقيمون على الشريعة، ويُذاد عنه صنفان من الناس: **الأول** من ارتدوا عن الإسلام، كالذين ارتدوا بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومثلهم من ارتد ممن جاء بعدهم إلى يوم القيامة. **والصنف الثاني** هم أهل البدَع، سواء القولية أو العملية، فإنهم يُذادُون – أي يُطردون – عن الحوض كما تُذاد الغريبة من الإبل.[٢]

وهذا الحوض يَصُبُّ فيه مِيزابان[٣] من نَهَر الكوثر الذي بالجنة، ومعنى الكوثر الخير الكثير، وطول الحوض مسيرة شهر، فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، ماؤه أشد بياضا من اللبن، ورائحته أطيب من المسك، ومذاقه أحلى من العسل، من يشرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبدا، يصب فيه ميزابان من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من فضة، عرضه مثل طوله، كما بين صنعاء والمدينة.[٤]

عباد الله، وحوض النبي (صلى الله عليه وسلم) موجودٌ الآن، كما قال عليه الصلاة والسلام: وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن.[٥]

ومما ورد في أخبار الحوض أن لكل نبي حوضا، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن لكل نبي حوضا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ واردة)[٦]، وهذا من حكمته تعالى ورحمته بعباده، ليشرب المؤمنون السابقون من أحواض الأنبياء الذين اتبعوهم، جزاء وِفاقا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

٤. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاعلموا رحمكم الله أن مِن مشاهد الحشر يوم القيامة الشفاعة العظمى، حيث إن الناس يوم القيامة يطول بهم الموقف، مؤمنِهم وكافرِهم، فيذهبون إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند ربهم لبدء الحساب، ليرى كلٌّ سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، فيعتذر عنها الأنبياء الخمسة، آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، ثم يُحيلهم عيسى (عليه السلام) إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)،

---

[١] روى هذا الحديث البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] انظر «صحيح مسلم» (٢٣٠٢).

[٣] الميزاب ويسمى أيضا بالمرزاب، وهو المجرى الذي يُعد ليسيل منه الماء من موضع عال، كسطح البيت وميزاب الكعبة. انظر «تاج العروس».

[٤] انظر الأخبار الواردة في الحوض في «صحيح البخاري»، كتاب الرقاق، باب في الحوض، وكذلك «صحيح مسلم»، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وسلم) وصفاته.

[٥] رواه البخاري (٦٥٩٠) ومسلم (٢٢٩٦) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

[٦] رواه الترمذي (٢٤٤٣) عن سمرة رضي الله عنه، وصححه الألباني كما في «الصحيحة» (١٥٨٩).

فيذهبون إليه فيقول: (أنا لها)، فيسجد تحت العرش ما شاء الله أن يسجد، ثم يَفتح الله عليه من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يَفْتَحهُ على أحد قبله، ثم يُقال له: (ارفع محمد، وقُل يُسمع، واشفع تُشَفَّع، وسَل تُعطَ)، فيشفع لأهل الموقف عند الله لبدء الحساب فيقبل الله شفاعته، فيبدأ الحساب وفصل القضاء بين العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم، من لدن آدم إلى قيام الساعة.

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الوارد ذكره في قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، وهو المقام الذي يحمده فيه الأولون والآخِرون يوم القيامة، ويغبِطونه عليه، إذ تكون له المنة على جميع الخلق في بدء الحساب، مؤمنِهم وكافرِهم، إنسِهم وجنّهم.

ولِعِظَم شأن هذه الشفاعة؛ سماها أهل العلم بالشفاعة العظمى، وهي أوَّل الشفاعات التي تكون يوم القيامة.

وبعد عباد الله، فهذه أربعة أمور مما تكون في موقف المحشر يوم القيامة، ينبغي للمسلم أن يستحضرها على الدوام ليكون على وجلٍ من الله، فينبعث للعمل الصالح، ويتوقى ما يسخط الله تعالى.

- ثم اعلموا رحمكم الله أن من أفضل أعمالكم يوم الجمعة وليلتها الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض عن أصحابه الخلفاء، الأئمة الحنفاء، وارض عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
- اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين.
- اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم هداة مهتدين.
- اللهم وفق جميع ولاة المسلمين لتحكيم كتابك، وإعزاز دينك، واجعلهم رحمة على رعاياهم.
- اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم.
- اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.
- اللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا، وعاف مبتلانا.
- اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.
- ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
- عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولَذِكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، لإلقائها في الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة لعام ١٤٤٢، في مدينة الجبيل، في المملكة العربية السعودية، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، وهي منشورة في صفحة:
www.saaid.net/kutob

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

أيها المؤمنون، تقدم الكلام في خطبتين ماضيتين عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، واليوم نتكلم بإذن الله عن الجزاء والحساب.

١. عباد الله، الحساب والجزاء حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين، والدليل على ثبوتهما قول الله تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا **حِسَابَهُمْ**﴾، وقوله تعالى ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ **يُجْزَى** إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا **حَاسِبِين**﴾ .

٢. والحساب والجزاء هو مقتضى الحكمة، فإن الله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل، وفرض على العباد قَبول ما جاؤوا به، والعمل بما يجب العمل به، وأوجب قتال المعارضين له، وأحل دماءهم وذرياتهم ونساءهم وأموالهم، فلو لم يكن ثمة حساب ولا جزاء لكان هذا التشريع من العبثِ الذي يُنزَّه الرب الحكيم عنه.

٣. عباد الله، والحساب حسابان؛ حسابُ عَرضٍ وحسابُ مناقشةٍ وعذابٍ، يدل لهذا قول النبي (صلى الله عليه وسلم): ليس أحد يحاسَب يوم القيامة إلا هَلَك.

فقالت عائشة: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ ؟

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنما ذلك العرْض، وليس أحد يُناقش الحساب يوم القيامة إلا عُـذِّب.[١]

وقد جاء ذكر حال الصِّنفين في حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: إن الله يُدنِي المؤمن فيضَع عليه كَـنَفَه[٢] ويَستُرُه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟

فيقول: (نعم أيْ رب)، حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: (سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم)، فيُعطى كتابَ حَسناتِه.[٣]

٤. وفي ذلك اليوم توزن أعمال الناس بموازين لإظهار عدل الله في الناس، قال تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾.

- فإن قيل: كيف توزن الحسنات والسيئات مع كونها أمورا معنوية؟

---

[١] رواه البخاري (٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها.

[٢] كنَفه أي ستره، وقيل رحمته ولطفه. انظر «النهاية».

[٣] رواه البخاري (٢٤٤١) ومسلم (٢٧٦٨).

فالجواب أن الأعمال تنقلب أجساما حسية بقدرة الله، وهكذا غير الأعمال، فالموت مثلا أمر معنوي لا حسي، وفي يوم القيامة يؤتى به على هيئة كبش فيذبح بين الجنة والنار، ثم ينادَى: (يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلودٌ فلا موت).[١]

- فإن قيل: هل توزن أعمال المؤمنين والكافرين جميعا، أم المؤمنين فقط؟ فالجواب أن الذي يوزن في الآخرة هو أعمال المؤمنين، فإن لم تكن على المؤمن معاصٍ دخل الجنة ابتداء، وأما إن كان عليه معاصٍ عُذِّب بها، ثم يُدخِلُه الله الجنة، أو يَغفر الله له ابتداء فيدخل الجنة بلا عذاب، إما بشفاعة الشفعاء أو بِمَنِّ الله عليه. أما الكافر فلا توزن أعماله، لأن الله تعالى يجازيه بها في الدنيا بالصحة وسعة الرزق ونحو ذلك، فإذا لقي الله في الآخرة فإنه ليس له إلا النار ولو عمل من الخير ما عمل، قال تعالى ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبِط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾، وقال تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾، وقال تعالى ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء﴾ وقال تعالى ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾، فالحاصل أن الكفار والمنافقين لا يحاسبون حساب موازنة بين الحسنات والسيئات، بل يحاسبون حساب تقرير وتقريع كما تقدم في حديث ابن عمر، فيُقَـرَّرون بها ويُطْـلعون عليها، فإذا أنكروا شَهِدَت عليهم أعضاؤهم، ثم ينادى بهم على رؤوس الخلائق ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾، ثم يُزَجُّ بهم في النار عياذا بالله. وفي هذا تنبيه على سِترِ الله للمؤمن وفضحِه للكافر.

٥. معاشر المؤمنين، ومن مشاهد الحساب أن الناس إذا دُعوا إلى حسابهم جثوا على ركبهم مما أصابهم من الهم، قال تعالى في سورة الجاثية ﴿وترى كل أمة **جاثية كلُّ أمة تُدعى إلى كتابها** اليوم **تجزون** ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ .

أيها المؤمنون، وأول ما يحاسب عليه العبد من أعماله صلاتُهُ، فإن صَلحت صَلَحَ سائرُ عمله، وإن فسدت فَسد سائرُ عمله.

٦. وأول ما يحاسب عليه العبد فيما يتعلق بحقوق الآدميين الدماء، والدليل على هذا قول النبي (صلى الله عليه وسلم): أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء.[٢]

٧. وفي ذلك اليوم تشهد أعضاء الإنسان عليه إذا أنكر ما عمله من السيئات، فيشهدُ عليه سمعه وبصره وجلده، قال تعالى ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاءوها **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يكسبون** * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون﴾ .

وقال الحسن البصري في قول الله تعالى (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا): يا ابن آدم، أَنصَفَك مَن خَلقك، جَعَلَكَ حسيبَ نفسِك. وروى ابن جرير الطبري في «تفسيره» عن قتادة في قول الله تعالى (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا): سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا.

---

[١] انظر صحيح البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

[٢] رواه البخاري (٦٥٣٣) ومسلم (١٦٧٨) عن ابن عمر رضي الله عنه.

٨. أيها المسلمون، وفي ذلك اليوم يُستثنى من الحساب سبعون ألفا، لا حساب عليهم ولا عذاب – جعلنا الله منهم – وهم المؤمنون الكُمَّل، الذين قاموا بما أوجب الله عليهم من الطاعات، وسارَعوا في الخيرات، وتركوا المحرمات والمكروهات.

وقد جاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه ما يدل على أن المشمولين بهذا الفضل أكثر من هذا العدد، فعنه رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: وعدني ربي أن يُدخِلَ الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا، وثلاث حثيات من حثياته.[١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

٩. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاعلموا رحمكم الله أن الحساب يشمل الجن والإنس، فإن الجن داخلون في عموم الرسالة كما هو معلوم، وهم مكلَّفون، قال تعالى ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من **الجن** والإنس في النار﴾ ، وقال في حور الجنة ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا **جان**﴾ ، فدلت الآية على أن في الجنة جِنًّا، دخلوها كما دخلها الإنس لما استجابوا لرسلهم.

١٠. عباد الله، وفي ذلك اليوم يَقتَصُّ الله من البهائمِ بعضها لبعض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: لتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.[٢] أي يُقتص للشاة التي لا قرون لها من ذات القرون التي نطحتها، فسبحان من أبهر بعدله وحكمته العقول.

وبعد عباد الله، فهذه عشرة أمور داخلة في الإيمان بالحساب والجزاء والحساب يوم القيامة، جعلنا الله ممن أخذ كتابه بيمينه وحاسبه حسابا يسيرا.

ثم اعلموا رحمكم الله أن من أفضل أعمالكم يوم الجمعة وليلتها الصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض عن أصحابه الخلفاء، الأئمة الحنفاء، وارض عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر عبادك الموحدين. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعلهم هداة مهتدين. اللهم وفق جميع ولاة المسلمين لتحكيم كتابك، وإعزاز دينك، واجعلهم رحمة على رعاياهم. اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. اللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا، وعاف مبتلانا. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

---

[١] أخرجه الترمذي واللفظ له (٢٤٣٧) وغيره، وصحح إسناده الألباني رحمه الله كما في «الصحيحة» (١٩٠٩).

[٢] رواه مسلم (٢٥٨٢).

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، وهي منشورة في
www.saaid.net/kutob

خطبة مختصرة في مقتضيات الإيمان باليوم الآخر – جزء ٨/٤ (عشرة أوصاف للجنة)

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

أيها المؤمنون، تقدم الكلام في خطبٍ ماضية عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، والجزاء والحساب، واليوم نتكلم بإذن الله عما أعد الله للمؤمنين في الجنة.

١. عباد الله، ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر **الإيمان بالجنة والنار،** وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم من الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾، وقال تعالى ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ .

٢. معاشر المؤمنين، **والجنة مئة درجة،** فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة مئة عام، وقال عفان: كما بين السماء إلى الأرض –، والفردوس أعلاها درجة، ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرشُ من فوقها، وإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس.[١]

٣. أيها المسلمون، **والجنة جنان متعددة،** وليست نعيما متساويا، بل النعيم فيها مُتفاوت، وأهلها يتفرقون فيها بحسب أعمالهم الصالحة، فجنتان جميع ما فيهما من ذهب، وجنتان جميع ما فيهما من فضة، كما قال تعالى في الجنتين الأُولَيين ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾، ثم قال في الجنتين اللتين هما دونهما في النعيم ﴿ومِن دونهما جنتان﴾ .

روى ابن جرير الطبري بسنده في تفسير هاتين الآيتين عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: جنتان من ذهب **للمقربين،** وجنتان من ورِق (أي فضة) **لأصحاب اليمين.**

وعن عبد الله بن قيس رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.[٢]

عباد الله، ويحسن هنا التنبيه إلى **الفرق بين السابقين وبين أصحاب اليمين،** فالسابقون هم القائمون بالفرائض والنوافل المنتهون عن المعاصي والمكروهات، وأما أصحاب اليمين (ويعبر عنهم أيضا بالأبرار) فهم القائمون بالفرائض المنتهون عن المعاصي، أما النوافل فلم يحرصوا عليها على الوجه الأكمل، وربما وقعوا في بعض المكروهات، وأما المعاصي فكلا الفريقين منكفٌّ عنها سواء كانت من الصغائر أو الكبائر، وهم يبادرون بالتوبة، ويكون حالهم بعدها أكمل من حالهم قبلها، ولكن انكفاف السابقين عنها أعظم.

---

[١] رواه أحمد (٣١٦/٥)، وصحح إسناده محققو «المسند».

[٢] رواه البخاري (٧٤٤٤) ومسلم (١٨٠).

وتفضيل السابقين على الأبرار في الثواب ظاهر سببه، فإن السابقين قد بذلوا وسعهم في طاعة الله والحذر من معصية الله، كما نفعوا غيرهم من الناس، من دعوة وأمر بمعروف ونهي عن منكر وجهاد وصدقة وإصلاح ذات البين وبناء مساجد ونحو ذلك، أما الأبرار فهم دون السابقين في ذلك.

ومن دلائل تفضيل السابقين على الأبرار قوله تعالى عن السابقين ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾، وقال عن الأبرار ﴿وحُلُّوا أساور من فضة﴾.

وقد أشار الله تعالى إلى الفرق بين نعيم السابقين المقربين وبين نعيم الأبرار أصحاب اليمين في مطلع سورة الواقعة وآخرها.

٤. عباد الله، **وأهل الجنة من أهل الوصف الواحد يتفاوتون فيما بينهم**، فالسابقون المقربون يتفاوت بعضهم عن بعض في النعيم بحسب أعمالهم، وكذلك الأبرار أصحاب اليمين، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدُّري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب **لتفاضل ما بينهم**. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.[١]

٥. أيها المسلمون، **ونعيم أهل الجنة يزداد ولا يبلى**، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة، فتهِب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنا وجمالا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا، فيقولون: وأنتم والله، لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا.[٢]

٦. عباد الله، ومن أعظم نعيم أهل الجنة نساؤها، فقد دلت النصوص على أن لكل مؤمن في الجنة حوريتين، مع نسائه اللاتي كُنَّ معه في الدنيا، ويزيده الله من الحور العين ما شاء بحسب عمله، وقد جاء في إثبات نعيم الحور آيات وأحاديث، منها قوله تعالى (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُون)، قال السعدي رحمه الله: الحوراء التي في عينها كحلٌ وملاحة، وحسنٌ وبهاء، والعِين: حِسان الأعين وضِخامها، وحُسن العَين في الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها. وقوله (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) أي كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، (المكنون) أي المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذلك الحور العين، لا عيب فيهن بوجه، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت، فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر الخاطر ويروق الناظر. انتهى.

وفي آية أخرى جاء في وصفهن قوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان)، أي كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض.[٣]

وقال تعالى في وصف نساء الجنة في سورة الواقعة: (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا)، وقوله (عُرُباً) يعني: متحببات إلى أزواجهن، وقوله (أَتْرَابا) يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة.

كما وصفَهُن الله بالطهارة فقال: (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُون)، قال ابن القيم: طَهُرنَ من الحيض والبول والنجو (أي الغائط) وكل أذى يكون في نساء الدنيا، وطهُرت بواطنهن من الغَيرة وأذى الأزواج وتَجَنِّيهِن عليهم وإرادة غيرهم. انتهى.[٤]

---

[١] رواه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١).

[٢] رواه مسلم (٢٨٣٣).

[٣] رواه ابن جرير في تفسير الآية عن ابن زيد.

[٤] «روضة المحبين»، الباب التاسع عشر، ص ٣٤٨، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار الفوائد – مكة.

كما وصفهن الله تعالى بأنهن قاصرات طرفَهن (أي أنظارهن) على أزواجهن فقال: (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ)، وقال: (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ). قال ابن القيم رحمه الله: ووَصفُهن بأنهن (مقصورات في الخيام) أي ممنوعات من التبرج والتَّبذُّل لغير أزواجهن، بل قد قُصِرْن على أزواجهن، لا يخرجن من منازلهم، وقُصِرْنَ عليهم فلا يُرِدن سواهم، ووصفهن سبحانه بأنهن (قاصرات الطَّرف)، وهذه الصفة أكمل من الأولى، فالمرأة مِنهن قد قَصَرت طرْفها (أي نظرها) على زوجها من محبتها له ورضاها به، فلا يتجاوز طرْفها عنه إلى غيره. انتهى.[١]

وقد جاء في السنة ما تحار فيه العقول في وصف جمالهن وحسنهن، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دُرِّيّ[٢] في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض، **لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين، يُرى مُخُّ سوقِهن من وراء العظم واللحم من الحسن.**[٣]

قال ابن حجر رحمه الله: المخ ما في داخل العظم، والمراد به وصفها بالصفاء البالغ، وأن ما في داخل العظم لا يستتر بالعظم واللحم والجلد. انتهى.[٤]

الحور التي يَحار فيها الطرف (أي النظر)، يَبانُ مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كَبِدِ إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها (أي خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها.[٥]

وللفائدة، فقد سُئِل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل الأوصاف التي ذكرت للحور العين تشمل نساء الدنيا؟
فأجاب: الذي يظهر لي أن نساء الدنيا يكنَّ خيراً من الحور العين، حتى في الصفات الظاهرة، والله أعلم.

٧. أيها المسلمون، ومن نعيم الجنة شرابها، وهو أربعة أنواع، الماء واللبن والخمر والعسل ، كلها تجري في أنهار، يشرب منها المؤمنون، قال تعالى (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى)، فقوله في الماء (غير آسن) أي غير متغير بطول المكث، وقوله (من خمر لذة للشاربين)، فيه تنبيه على أنها ليست مُرَّةً كخمر الدنيا بل عذبة، وجاء في آية أخرى أنه ليس فيها غول، أي لا تتسبب في وجع البطن، (ولا هم عنها يُنزَفون) أي لا تذهب عقولهم بسببها، وقوله (من عسل مصفى) فيه تنبيه إلى أنه قد صُفِّي من القذى والشوائب التي تكون عادة في العسل.

٨. ومن نعيم أهل الجنة طعامها وفاكهتها، فقد ثبت في السنة الصحيحة أن ضيافة أهل الجنة أول دخولهم لها زيادة كبد حوت، أي أطراف الكبد لأنها ألذ، وذلك في حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن حبرا من أحبار اليهود جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم يختبره عن بعض المسائل، فجاء في حديثه أنه سأل فقال: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ (والتحفة هو أول ما يقدم للضيف من طعام ليلاطف ويستأنس)، قَالَ: زِيَادَةُ كَبِدِ النُّون (أي الحوت). قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ:

---

[١] «روضة المحبين»، الباب التاسع عشر، ص ٣٤٨، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار الفوائد – مكة، باختصار يسير.

[٢] أي متلألئ.

[٣] رواه البخاري (٣٢٤٦) ومسلم (٢٨٣٤).

[٤] «فتح الباري» (٣٧٥/٦).

[٥] رواه البخاري (٢٧٩٦).

يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا. قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ... إلى آخر الحديث.[١]

وقد ورد في طعام أهل الجنة وفاكهتهم نصوص كثيرة، لا يتسع المقام لذكرها، يجمعها قوله تعالى (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون).

٩. أيها المؤمنون، وأعظم نعيم لأهل الجنة رؤية وجه الله في الآخرة، فعن صهيب الرومي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ؛ يقولُ اللهُ تعالى: تُريدون شيئًا أزيدُكم؟ فيقولونَ: ألم تُبَيِّضْ وجوهَنا؟ ألمِ تُدخلْنا الجنةَ وتُنَجِّنا من النارِ؟ فيُكشفُ الحجابُ، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظرِ إلى ربِّهم.[٢]

عباد الله، والكلام في الجنة ونعيمها يطول، ومن أراد التوسع في معرفة الجنة وأوصافها وأوصاف أهلها فعليه بكتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن قيم الجوزية رحمه الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاعلموا رحمكم الله أن موسى سأل ربَّهُ فقال: يا ربِّ ما أدنى أهلِ الجنةِ منزلَةً؟ قال: هو رجلٌ يجيءُ بعدما يدْخُلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ فيقالُ لَهُ: ادخلِ الجنَّةَ، فيقولُ: أيْ ربِّ كيفَ وقد نزل الناسُ منازِلَهم وأخذُوا أخَذَاتِهم؟ فيقالُ لَهُ: أترْضَى أنْ يكونَ لَكَ مثلُ ملْكِ ملِكٍ مِنْ ملوكِ الدنيا؟ فيقولُ: رضيتُ ربِّ، فيقولُ: لكَ ومثْلُهُ ومثلُهُ ومثلُهُ، فقال في الخامِسَةِ: رضيتُ ربِّ، فيقولُ: هذا لَكَ وعشرةُ أمثالِهِ، ولَكَ ما اشتَهَتْ نفْسُكَ ولذَّتْ عينُكَ. **فيقولُ** رضيتُ ربِّ. قال: ربِّ فأعلاهم منزلَةً؟ قال: أولئكَ الذينَ أردْتُ، غرسْتُ كرامتَهم بيدِي، وختمْتُ عليها فلَمْ تَرَ عينٌ، ولم تسمعْ أُذُنٌ، ولم يخْطُرْ على قلْبِ بشرٍ.[٣]

١٠. **عباد الله، والجنة والنار باقيتان لا تَبِيدان ولا تَفْنَيان**، والدليل على هذا ظاهر القرآن والسنة، فقد ورد تأبيد خلود المؤمنين في الجنة وخلود الكفار في النار في عدة مواضع من القرآن، ومن قال بأنهما تفنيان فقوله ضعيف لا يُعَوَّل عليه، لأنه خلاف ظاهر النصوص، وقد خاطب الله الناس بما يفهمون، فالواجب إمرار النصوص كما جاءت بلا تحريف ولا تكلُّف.

١١. معاشر المؤمنين، **والجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن**، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعدَّت للمتقين﴾، والشاهد قوله ﴿أعدت﴾.

والدليل من السُّنةِ قولُ النبيِ (صلى الله عليه وسلم) لبلال: حدِّثني بأرجى عملٍ عمِلته عندك في الإسلام منفعةً، فإني **سمعت الليلة خَشْفَ نعليك بين يديَّ في الجنة.**[٤]

ومن الأدلة كذلك على أن الجنة مخلوقة الآن قوله (صلى الله عليه وسلم): **أُدخِلت الجنة**، فإذا فيها جَنابِذُ[٥] اللؤلؤ، وإذا ترابُها المِسك.[١]

---

[١] رواه مسلم (٣١٥).

[٢] رواه مسلم (١٨١).

[٣] رواه مسلم (١٨٩) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

[٤] رواه البخاري (١١٤٩) ومسلم (٢٤٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

[٥] الجنابذ هي القباب، واحدتها جَنبَذة.

وبعد عباد الله، فهذه عشرة أمور داخلة في الإيمان بالجنة، ينبغي لكل مؤمن أن يعلمها، لتكون الجنة منه على ذِكرٍ، فينشط للعمل، ويحذر التقاعس والكسل. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، وهي منشورة في
www.saaid.net/kutob

[١] قطعة من حديث الإسراء الطويل الذي رواه مسلم (١٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

خطبة مختصرة في مقتضيات الإيمان باليوم الآخر – جزء ٨/٥ (صفة النار)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إله إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

أيها المؤمنون، تقدم الكلام في خطبٍ ماضية عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، والجزاء والحساب، ونعيم الجنة، واليوم نتكلم بإذن الله عن صفة النار، أعاذنا الله منها.

١. عباد الله، ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر **الإيمان بالجنة والنار**، وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، والنار دار العذاب، أعدها الله لصنفين من الناس، وهم الكفار، وأصحاب الكبائر من المؤمنين.

٢. معاشر المؤمنين، **والحكمة** من عذاب الله لأهل النار من المؤمنين تطهيرهم من الذنوب، ثم يؤويهم الله بعد ذلك لجنته، إذ الجنة طيبة فلا يدخلها إلا نفس طيبة، والذنوب نجسة، فوجب التطهير منها أولا، حكمة منه سبحانه، وقد يعفو الله عن أصحاب الكبائر المُوَحِّدين دون عذاب، قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، فمن عفا الله عنه فبِفضله، ومن عذَّبه فبِعدله، وأما الكافر فإن الحكمة من عذاب الله له إهانته وخزيه، ولا يترتب على ذلك تمحيص ولا تطهير، لأن الخُبث متأصل فيه لا يزول بالنار، فيبقى فيها أبد الآباد عياذا بالله.[1]

٣. والنار فيها من أنواع العذاب والنَّكال ما لا يخطر على البال، قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾.

٤. فالكافرون يبقون في النار إلى أبد، وأما عُصاة المؤمنين فيعذبون فيها – إن لم يعفُ الله عنهم – إلى أمد، يُعذَّبون فيها بقدر ذنوبهم التي وقعوا فيها، كخطايا اللسان، أو الفرج، أو قطيعة الرحم، أو السماع المحرم، أو النظر المحرم، أو أكل المال المحرم، ونحو ذلك، إلا أن النار لا تمس أعضاء السجود، وفي هذا تشريفٌ لعبادة الصلاة،

---

[1] انظر «أضواء البيان» في الكلام على تفسير قوله تعالى في سورة الجاثية ﴿ولهم عذاب مهين﴾، الآية: ٩ .

وانظر كذلك «دفع إيهام الاضطراب» في خاتمة كلامه على قول الله تعالى ﴿قال النار مثواكم فيها إلا ما شاء الله﴾، الأنعام: ١٢٨ .

فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى رُكبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حُجزَته، وهو موضع شدِّ الإزار، ومنهم من تأخذه إلى تُرقُوتِه[١]، وهو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وفي هذا دليل على تَفاوُتِ العُقوباتِ في الضَّعفِ والشِّدَّةِ، فإذا تم استحقاقهم من النار فإنهم يُخرجون منها وقد امتُحِشوا[٢]، فيُلقَونَ في نَهَرٍ بأفواهِ الجنةِ[٣] يقال له ماء الحياة، فينبُتون كما تنبُتُ الحِبَّةُ[٤] في حمِيلِ السَّيلِ، أي جانبه[٥]، فإذا طُهِّرَ عصاةُ المؤمنين من ذنوبهم أُخرِجوا إلى الجنة.

٥. وجهنم عظيمة البنيان، فظيعة المنظر، شديدة الحر، فأما عِظَم بنيانها فدليله حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زِمام[٦]، مع كل زمام سبعون ألف ملك يَجرُّونها.[٧]

٦. وأما فظاعة منظرها فمعلوم من قول الله تعالى ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾، فشرار النار في حجمه كالقَصْر، جمعُ قَصَرة، وهي أصل الشجرة[٨]، فشرارة النار المتطايرة منها كحجم الواحدة من أصول الشجر، نعوذ بالله منها.

٧. وأما شدة حرها فدليله قول النبي (صلى الله عليه وسلم): ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم.
قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال: فُضِّلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها.[٩]

٨. أيها المسلمون، ولجهنم سبعة أبواب، يدخل من كل باب من تلك الأبواب نصيب مقسوم معلوم من الناس، قال تعالى ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾.

٩. وطعام أهل النار يختلف بحسبهم، إذ أهل النار يتفاوت عذابهم فيها بحسب سيئاتهم كمًّا وكيفًا، فمِن أهل النار من طعامه الغِسلين، قال تعالى ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾، والغسلين هو ما يسيل من صديد أهل النار من غُسالة القروح.

ومنهم من طعامه الضَّريع، وهو نبات الشَّبرق اليابس، قال تعالى ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾.

ومنهم من طعامه الزَّقوم، قال تعالى ﴿إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم *كالمهل يغلي في البطون *كغلي الحميم﴾.[١٠]

---

[١] رواه مسلم (٢٨٤٥) عن سمرة بن جندب، رضي الله عنه.

[٢] أي احترقوا، والمَحْش احتراق الجلد وظهور العظم. انظر «النهاية».

[٣] أفواه جمع فُوَّهة، وأفواه الجنة أي أوائلها. قاله النووي رحمه الله في شرح حديث مسلم (١٨٣).

[٤] الحِبَّة – بكسر الحاء – بزور البقول وحب الرياحين، بخلاف الحَبة – بفتح الحاء – فهي الحنطة والشعير ونحوهما. انظر «النهاية».

[٥] انظر «صحيح البخاري» (٧٤٣٧، ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٦] الزِّمام هو الحبل الذي تُربط فيه الناقة ونحوها مما يُقاد. انظر «لسان العرب».

[٧] انظر «صحيح مسلم» (٢٨٤٢)، وهذا القول له حكم الرفع، كما هو معلوم عند أهل العلم بالحديث.

[٨] انظر تفسير الآية عند ابن جرير الطبري في «تفسيره».

[٩] رواه البخاري (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

[١٠] انظر «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، سورة الحاقة، قوله تعالى ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾.

والزقوم شجرة تخرج في أصل الجحيم، كريهة المنظر، كريهة المأكل، قال تعالى ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾.

١٠. وأما شراب أهل النار فإنهم يُسقون من الحميم – وهو الماء الحار – ويُصبُّ عليهم منه من فوق رؤوسهم، فيُعذبون به من خارج أجسامهم وفي داخل أجوافهم، فتنصهر جلودهم وتتقطع أمعاؤهم، قال تعالى ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يُصب من فوق رؤوسهم الحميم * يُصهر به ما في بطونهم والجلود﴾، وقال تعالى ﴿وسُقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم﴾.

وهناك أنواع أخرى من الأشربة يُسقى بها أهل النار، قد أشار الله تعالى إليها في قوله ﴿هذا فليذوقوه حميم وغسَّاق * وآخر من شكله أزواج﴾، والغسَّاق هو ما يَقطِرُ من جلود أهل النار.

١١. عباد الله، وأشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة أصناف؛ آل فرعون، وهم فرعون وأتباعه، ومن كفر من أصحاب المائدة، والمنافقون، والدليل على ما تقدم قول الحق تبارك وتعالى ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾، وقوله تعالى عن أصحاب المائدة ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾، وقوله تعالى عن المنافقين ﴿إن المنافقين في الدَّرْك الأسفل من النار﴾.

١٢. وأهون أهل النار عذابا رجل يوضع عند قدمه جمرتان يغلي منهما دماغه.[١]

١٣. والناس كلهم يرِدون النار أي يَمُرُّون عليها، مؤمنهم وكافرهم، كما قال تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾، ولكن من أراد الله نجاته من المؤمنين فإن النار لا تمسُّه، بل يمر من فوقها على الصراط ولا تمسُّه بسوء، أما من أراد الله عذابه من عصاة المؤمنين والكافرين فإن الكلاليب المعلقة بالصراط تخطِفُه وتُلقيه في النار، فأما المؤمنون فيعذبون فيها بقدر معاصيهم ثم يخرجون إلى الجنة، وأما الكافرون فيبقون فيها أبد الآباد، وهذا هو معنى قوله تعالى في الآية بعدها ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جِثيا﴾.[٢] ومعنى الجِثِيِّ في الآية هو البُروك على الركب، وهو شرُّ الجلوس، إذ لا يجلس الرجل جاثيا إلا إذا نزل به كرب.[٣]

١٤. وأهل النار يُساقون إليها عِطاشا كما قال تعالى ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وِردا﴾، أي عِطاشا، فإن أصل الوِرد هو الاتيان إلى الماء، ولما كان الاتيان إلى الماء لا يكون إلا من عطشٍ أُطلق اسم الورد على الجماعة العطاش.

١٥. وفي ذلك اليوم يكون لأهل النار علاماتٌ تَعرفهم بها ملائكة النار، فإذا عرفَتْهُم أمسَكَتْهم بنواصيهم – والناصية هي مُقدَّم شعر الرأس – وأقدامِهِم، ثم تقذفهم في النار بقوة وعنف عياذا بالله، قال تعالى ﴿يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذُ بالنواصي والأقدام﴾، وقال تعالى ﴿يوم يُدعُّون إلى نار جهنم دعًّا﴾، ومعنى يُدعُّون أي يدفعون فيها بقوة وعنف.

---

[١] رواه البخاري (٦٥٦١) ومسلم (٢١٣) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

[٢] انظر للفائدة ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية المتقدمة من سورة مريم.

[٣] انظر تفسير ابن جرير للآية الكريمة.

١٦. ومن عذاب أهل النار أنهم يُسحبون فيها على وجوههم كما في قوله تعالى ﴿يوم يُسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر﴾.

ومن عذاب أهل النار أنهم يُلبَسون ثيابا من نار كما في الآية المتقدمة ﴿فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثياب من نار﴾، ويُلبسون أيضا أقمصةً من نحاس ملهَبٍ بالنار كما في قوله ﴿سرابيلهم من قَطِران﴾، والسرابيل هي القُمُص، جمع قميص، والقَطِران هو النحاس المذاب بالنار.

ومن عذاب أهل النار أنهم يُضربون فيها بمطارق من حديد كما قال تعالى ﴿ولهم مقامع من حديد﴾، والمقامع في اللغة جمع مِقمعة، وهي حديدة كالمحجن يُضرب بها على رأس الفيل، ومعناها في الآية مرزبة عظيمة من حديد — وتعرف في زماننا بالمطرقة – تَضرب بها خزنة النار أهلها، عياذا بالله.

١٧. والنار أعاذنا الله منها تُبصِر وتتغيظ، وتَزفِر وتَشهق ، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿إذا **رأتهم** من مكان بعيد سمعوا لها **تغيظا وزفيرا**﴾، أي إذا رأت النار الكفار وهم في المحشر سمِعوا تغيظها وهو صوتها بالغليان، وسمعوا زفيرها وشهيقها، وهما صوتان معلومان، والله أعلم بكنهِهِما. وقال تعالى (إذا ألقوا فيها سمعوا لها **شهيقا** وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ)، أي تكاد تتقطع من غيظها، عياذا بالله.

١٨. والنار تضطرم وتخبو كما قال تعالى ﴿كلما خَبت زدناهم سعيرا﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

١٩. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاعلموا رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى وعد النار أن يملأها، قال تعالى ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾.

٢٠. عباد الله، والنار مخلوقة الآن، ودليل ذلك قوله تعالى ﴿واتقوا النار التي أُعدَّت للكافرين﴾، والشاهد قوله ﴿أعدت﴾.

ومن السنة أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى عمرو بن لُحَي يَجُرُّ قُصْبَه — أي أمعاءه – في النار، وهو أول من غيَّر دين إبراهيم، وأتى بالأصنام إلى جزيرة العرب.[١]

ورأى امرأة تعذب في النار في هِرةٍ حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خَشاش الأرض[٢].[٣]

وبعدُ عباد الله، فهذه عشرون أمرا تتعلق بالإيمان بالنار وأوصاف من يدخلها، ينبغي لكل مؤمن أن يعلمها، لتكون النار منه على ذِكرٍ، فينشط للعمل، ويَحذر الذنوب والتقاعس والكسل.

---

[١] انظر حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري (٣٥٢١) ومسلم (٢٨٥٦).

[٢] خشاش الأرض أي هوامها وحشراتها، واحدتها خشاشة. انظر «النهاية»، مادة خشش.

[٣] انظر حديث ابن عمر الذي رواه البخاري (٢٣٦٥) ومسلم (٢٢٤٢).

- اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، وهي منشورة في www.saaid.net/kutob

خطبة مختصرة في مقتضيات الإيمان باليوم الآخر – جزء ٨/٦ (بعضٌ مِن مشاهد القيامة)

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما).

أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

- **أيها المؤمنون**، تقدم الكلام في خطبٍ ماضية عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، والجزاء والحساب، ونعيم الجنة، وصفة النار، واليوم نتكلم بإذن الله عن بعض مشاهد القيامة.

١. **عباد الله**، ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر **الإيمان ببعض مشاهد القيامة، ومنها** تطاير الصُّحُف، أي صحائف الأعمال، فيأخذها الناس، فمنهم من يأخذها باليمين وهم أهل الاستقامة، ومنهم من يأخذها بالشمال وهم الكفار، فالمؤمن يأخذ كتابه وهو فرحٌ مستبشر، قال تعالى ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه * فهو في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾.

وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره، فكما أنه جعل كتاب الله وراء ظهره؛ فإنه يعطى كتابه من وراء ظهره، جزاء وفاقا، فيأخذه وهو حزين مُتحسِّر، قال تعالى ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه﴾، وقال تعالى ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبورا * ويصلى سعيرا * إنه كان في أهله مسرورا * إنه ظن أن لن يحور * بلى إن ربه كان به بصيرا﴾.

٢. **معاشر المؤمنين**، ومن مشاهد القيامة **ضرب الصِّراطِ على متنِ جهنم**، أي ظهرِها، ثم مرور الناس عليه، وتكون أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) هي أول من يُجيز من الأمم، وهو مَدحَضةٌ مَزِلَّـة، أي تزلِق عليه الأقدام ولا تثبت، عليه خطاطيف[١] وكلاليب[٢]، وحَسَكةٌ مُفلطحةٌ – أي شوكة صلبة فيها عَرضٌ واتِّساع[٣] –، على رأسها شوكةٌ عَـقَّيفَةٌ – أي ملتوية كالصنارة[٤] – تكون بنَــجدٍ، يُقال لها السَّعدان، فإذا مرَّ الناس على الصراط صاروا ثلاثة أصناف: إما ناجٍ مُسَلّمٌ، أو ناجٍ مخدوشٌ، أو مكدوسٌ – أي مدفوعٌ – في نار جهنم، فالخطاطيف والكلاليب والأشواك ينجو منها أناس ويسلمون من خدشِها وإمساكِها، وهم المؤمنون الكُمَّل الذين قاموا بطاعة الله واجتنبوا معصيته.

أيها المسلمون، والصنف الثاني من الناس هم من تخدِشُهم الكلاليب ولكن يَسلَمون من إمساكها بهم ويعبُرون الصراط، وهم الذين عندهم معاصٍ لم تستوجب دخول النار، بل الخدش هو عقوبتهم في الآخرة فحسْب ثم ينجون.

والصنف الثالث هم الذين تخطِفُهم الكلاليب وتهوي بهم في النار بدفع وقوة، وهؤلاء هم المؤمنون الذين استحقوا دخول النار بسبب ما عندهم من المعاصي والكبائر، وكذلك المنافقون، فالكلاليب تخطِفُهم وتهوي بهم في نار جهنم عياذا بالله، فأما المؤمنون فيعذبون فيها بقدر معاصيهم ثم يُخرجون منها، وأما المنافقون فيخلدون في الدرك الأسفل من النار، وأما الكفار فيُساقون إلى النار سوقا قبل أن يُضرب الصراط على متن جهنم، قال تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا)، وقال تعالى عن فرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود)، فتتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد، كالأصنام والشمس والقمر، فترد النار مع معبوداتها، تَعرِض لهم كأنها سراب، يَحطِمُ بعضها بعضا، فيتساقطون فيها، حمانا الله من ذلك.[٥]

عباد الله، وسُرعةُ الناس على الصِّراط ليست باختيارهم، ولا بقوة أجسادهم، بل بحسب أعمالهم، كما جاء في الحديث (تجري بهم أعمالهم)[٦]، فمن كان عمله صالحا حسناً مرَّ سريعا، فمنهم من يَمُرُّ على الصِّراط كطرف العين، ومنهم من يَمُرُّ كالبرق، ومنهم من يَمُرُّ كالريح، ومنهم من يَمُرُّ كالطير، ومنهم من يَمُرُّ كأجاويدِ[٧] الخيل والرِّكاب، ومنهم من يمر كعدو الرجال، حتى يَمُرَّ آخرهم يُسحبُ سحباً، وأما من ساء عمله مرَّ بطيئا، وربما خَطَفته الكلاليب إن كان ممن استحق النار.[٨]

---

[١] خطاطيف جمع خطَّاف، وهو الحديدة المعوجة كالكلوب، يُختطف بها الشيء. انظر «النهاية».

[٢] الكلاليب جمع كلُّوب، بتشديد اللام، وهو حديدة معوجة الرأس. انظر «النهاية».

[٣] انظر «النهاية» و «لسان العرب».

[٤] انظر «النهاية».

[٥] انظر «صحيح البخاري» (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وكذلك «صحيح البخاري» (٤٥٨١) ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[٦] انظر «صحيح مسلم» (١٩٥) عن حذيفة رضي الله عنه.

[٧] أجاويد جمع جواد، وهو الفرس السابق الجيد. انظر «النهاية».

[٨] انظر دليل ما تقدم في صحيح البخاري (٧٤٣٧) وصحيح مسلم (١٨٢).

٣. **أيها المؤمنون**، ومن مشاهد القيامة **وقوف أناس من المؤمنين على قنطرة بين الجنة والنار**، ففي ذلك اليوم يقف المؤمنون الذين عُذِّبوا في النار بعد خروجهم منها على قنطرةٍ – أي جسرٍ – بين الجنة والنار ليتخلصوا مما علِق بقلوبهم من الغِلِّ والحسد والبغضاء، فلا يدخلون الجنة إلا وقد طَهُرت قلوبهم، فقد أخرج البخاري رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يَخلُصُ المؤمنون من النار[١]، فيُحبَسون على قنطرةٍ بين الجنة والنار، فيُقتصُّ لبعضهم من بعضٍ مظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده؛ لأحدُهم أهدى بمنزِلِه في الجنة مِنهُ بمنزلِهِ كان في الدنيا.[٢] قال ابن تيمية رحـــمه الله: فالنفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة التي ليس فيها من الخَبَث شيء، فالنفوس الخبيثة لا تصلح أن تكون في الجنة الطيبة.[٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

٤. الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاعلموا رحمكم الله أن من مشاهد القيامة **شفاعات النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم القيامة**، وهي أربع شفاعات غير الشفاعة العظمى التي تقدم ذكرها في خطبة ماضية، **فأولها** شفاعتُه (صلى الله عليه وسلم) للمؤمنين في دخول الجنة، فإن المؤمنين إذا أتوا الجنة وجدوا أبوابها مغلقة، فعندئذ يطرق النبي (صلى الله عليه وسلم) باب الجنة، فيقول خازن الجنة[٤]: من أنت؟ فيقول: محمد. فيقول: بك أُمِرتُ **لا أفتحُ لأحدٍ قبلك**.[٥]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): **أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياءِ تَبَعاً**[٦].[٧]

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) هو أول من يدخل الجنة، ولا يدخلها أحد قبله، وفي هذا إظهارٌ لشرف النبي (صلى الله عليه وسلم) وشرف أمته، في كونه أول داخل للجنة، وكون أمته أول من يدخل الجنة من الأمم.

---

[١] أي يسلَمون منها فيخرجون بعدما نشِبوا فيها. انظر «لسان العرب».

[٢] رواه البخاري (٦٥٣٥).

[٣] انظر «فتاوى ابن تيمية» (١٤/٣٤٤)، باختصار.

[٤] الخازن هو الحافظ للشيء، وقد اشتُهر تسمية خازن الجنة بـ «رضوان»، وهذا لا دليل صحيح عليه، والصواب تسميته بخازن الجنة كما جاء في الحديث، أفادني بها الشيخ محمد بن علي آدم الأثيوبي رحمه الله.

[٥] رواه مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[٦] أي أتباعا من الناس.

[٧] رواه مسلم (١٩٦) واللفظ له، وأحمد (٣/١٤٠)، والدارمي في المقدمة، باب ما أعطي النبي من الفضل.

وثاني شفاعات النبي (صلى الله عليه وسلم) شفاعته لمن لا حِساب عليهم يوم القيامة في دخول الجنة، ودليلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل في الشفاعة، وفيه: يا محمد، أدخِل من أمتك **من لا حِساب عليهم** من الباب الأيمن من أبواب الجنة[١].[٢]

وثالث شفاعات النبي (صلى الله عليه وسلم) شفاعته لعصاة المؤمنين ممن دخلوا النار بسبب معاصيهم في الخروج منها، وهي التي عناها (صلى الله عليه وسلم) في قوله: (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي **شفاعةً لأمتي** في الآخرة)[٣]، وكذا في قوله (صلى الله عليه وسلم): **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**.[٤]

والشفاعة الرابعة؛ شفاعته (صلى الله عليه وسلم) لعمه أبي طالب لتخفيف العذاب عنه، لأنه كان يدافع عنه ويرد عنه أذى المشركين، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال للنبي (صلى الله عليه وسلم): ما أغنيتَ عن عمِّك؟ فوالله كان يحوطُك ويغضَبُ لك. قال: هو في ضَحْضاحٍ[٥] من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفل من النار.[٦]

وبعد عباد الله، فهذه أربع مشاهد من مشاهد القيامة، **تطاير الصحف، وضرب الصِّراطِ على متنِ جهنم، ووقوف أناس من المؤمنين على قنطرة بين الجنة والنار**، وشفاعات النبي (صلى الله عليه وسلم) الخمس[٧] التي سيقوم بها يوم القيامة.

اللهم ارزقنا شفاعة نبيك محمد (صلى الله عليه وسلم) في الآخرة.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم ارزقنا حبك، وحب كل عمل يقربنا إليك.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم. رب اغفر لنا ذنوبنا كلها، دِقَّها وجُلَّها، وأولها وآخرها، وعلانيتها وسرها. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم صل على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

---

[١] قلت: في هذا تنبيه لفضلهم، فإن للجنة سبعة أبواب كما جاء في التنزيل ﴿لها سبعة أبواب﴾، وكونهم يدخلون من الباب الأيمن منها فيه تنبيه لفضلهم، فإن فضل التيامن معلوم في الإسلام.

[٢] رواه البخاري (٤٧١٢).

[٣] رواه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم (١٩٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٤] رواه الترمذي (٢٤٣٥)، وأبو داود (٤٧٣٩)، وأحمد (٢١٣/٣) وصححه الألباني في المشكاة (٥٥٩٨ – ٥٥٩٩) عن أنس رضي الله عنه.

[٥] قال ابن لأثير في «النهاية»: الضَّحضاح في الأصل: ما رقَّ من الماء على وجه الأرض، ما يبلغ الكعبين، واستعير هنا للنار.

[٦] رواه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩) وأحمد (٢٠٦/١).

[٧] وانظر «تهذيب السنن» لابن القيم، كتاب السنة، باب في الشفاعة، (٢٢٦٩/٥)، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، في الحادي والعشرين من شهر محرم لعام ١٤٤٣، وهي منشورة في www.saaid.net/kutob

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون). (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا).(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما). أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

أيها المؤمنون، تقدم الكلام في خطبٍ ماضية عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، والجزاء والحساب، ونعيم الجنة، وصفة النار، وبعض مشاهد القيامة، واليوم نتكلم بإذن الله عن أنواع الشفاعات يوم القيامة.

عباد الله، ومما يكون يوم القيامة شفاعة الشفعاء لمن استحقها، والشفعاء ستة: الرسل والمؤمنون والشهداء والأفراط والملائكة والقرآن.

١. فأما **شفاعة الرسل للمؤمنين** من أتباعهم فتتعلق بمن دخلوا النار بسبب ذنوبهم أن يخرجوا منها، ودليلها حديث جابر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا مُيِّز أهل الجنة وأهل النار، فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، **قامت الرسل فشَفَعوا،** فيقول: انطلِقوا – أو اذهبوا – فمن عرفتم فأخرجوه، فيخرجونهم قد امتُحِشوا[١]، فيُلقُونهم في نَهَرٍ – أو على نَهَرٍ – يقال له «الحياة»، فتسقط محاشُّهُم[٢] على حافةِ النَّهَرِ ويَخرُجون بِيضاً مثل الثَّعارير[٣]، ثم **يَشفعون** فيقول: (اذهبوا – أو انطلقوا – فمن وجدتم في قلبه مِثقالَ قيراطٍ[٤] من إيمان فأخرِجوهم)، قال: فيُخرِجون بشرا ثم **يشفعون،** فيقول: (اذهبوا – أو انطلقوا – فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلة[٥] من إيمان فأخرِجوه) ... الحديث.[٦]

---

١ المَحْشُ هو احتراق الجلد وظهور العظم. انظر «لسان العرب».

٢ أي ما احترق منهم.

٣ الثعارير: نبات القِثّاء الصغار، شُبِّهوا بها لأن القثاء ينمو سريعا، وقيل غيره. انظر «النهاية».

٤ القيراط: معيار في الوزن، يعادل اليوم وزن أربع قمحات. انظر «المعجم الوسيط».

٥ الخردل نبات عشبي، منه بزور يُتبل بها الطعام، واحدتها خردلة، يضرب بها المثل في الصغر. انظر «المعجم الوسيط».

٦ رواه البخاري (٦٥٥٨)، وأحمد (٣/٣٢٥) واللفظ له.

ومن الأدلة أيضا على شفاعة الرسل للمؤمنين الذين في النار حديث حذيفة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: يقول إبراهيم يوم القيامة: يا ربَّاه، فيقول جل وعلا: يا لَبَّيْكاه. فيقول إبراهيم: (يا رب، حَرَّقْتَ بَنِيَّ)، فيقول: أخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة أو شعيرة من إيمان.[١]

٢. عباد الله، والنوع الثاني من الشفاعات التي ستكون يوم القيامة؛ **شفاعة المؤمنين الذين في الجنة لإخوانهم المؤمنين الذين في النار في الخروج منها**، ودليلها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ... حتى إذا خَلَصَ المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق **من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار**، يقولون: ربنا، كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون. فيقال لهم: (أخرجوا من عرفتم)، فتُحَرَّم صُوَرُهم على النار[٢]، فيُخرِجون خلقا كثيرا، قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: (ربنا، ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به)، فيقول: ارجِعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خيرٍ فأخرِجوه، فيُخرِجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: (ربنا، لم نَذَرْ فيها أحدا مِمن أمرتنا به)، ثم يقول: (ارجِعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينارٍ من خير فأخرِجوه)، فيُخرِجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: (ربنا، لم نَذَرْ فيها مِمن أمرتنا أحدا)، ثم يقول: (ارجِعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرِجوه)، فيُخرِجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: (ربنا، لم نَذَرْ فيها خيرا). وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾.[٣]

٣. عباد الله، والنوع الثالث من الشفاعات التي ستكون يوم القيامة؛ **شفاعة الملائكة لعُصاة المؤمنين في الخروج من النار، ثم يُخرج الله تعالى أقواما من النار تَكرُّما منه بلا شفاعةٍ من أحد**، فبعد الشفاعات المذكورة يقول الله عز وجل: **شفَعَت الملائكة**، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين (وفي لفظ: **وبقيت شفاعتي**)، فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط، قد عادوا حُمَماً[٤]، فيُلقيهم في نَهَرٍ في أفواه الجنة يقال له نَهَرُ الحياة، فيخرجون كما تخرج الحِبَّةُ في حَمِيل السَّيل.[٥]

وفي حديث جابر رضي الله عنهما قال: يقول الله عز وجل: ... أنا الآن أُخرج بعلمي ورحمتي. قال: فيُخرِجُ أضعافَ ما أخرجوا وأضعافَه، فيُكتبُ في رقابهم «عتقاء الله عز وجل»، ثم يدخلون الجنة، فيسمون فيها «الجهنَّميين».[٦]

---

١ رواه ابن حبان (٧٣٧٨)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه عليه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢ أي تُحرَّم أجسام المؤمنين الذين هم من أهل الجنة على النار فلا يؤذيهم حرها إذا دخلوها لإخراج إخوانهم المؤمنين منها.

٣ رواه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) واللفظ له.

٤ الحُمم هي الفحم، واحدتها حُممة. انظر «لسان العرب».

٥ رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) واللفظ له، عن أبي سعيد، وما بين القوسين من لفظ البخاري.

٦ رواه أحمد (٣/٣٢٥)، وصححه محققو «المسند»، وقالوا: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٤. عباد الله، والنوع الرابع من الشفاعات التي ستكون يوم القيامة؛ شفاعة الشُّهداء لإخوانهم المؤمنين، ودليلها حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دَفعةٍ[١]، ويَرى مقعده من الجنة، ويُجار من عذاب القبر، ويَأمنُ من الفزع الأكبر، ويوضعُ على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتةُ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين، **ويُشَفَّعُ في سبعين من أقاربه**.[٢]

٥. عباد الله، والنوع الخامس من الشفاعات التي ستكون يوم القيامة؛ **شفاعة الأفراط لوالِدِيهم**، والفَرَط هو الطفل الذي مات دون البلوغ، ودليلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما من مسلمَين يموت بينهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحِنْثَ[٣] إلا أدخلهم الله بفضل رحمته إياهم الجنة. قال: يقال لهم: أُدخلوا الجنة. فيقولون: حتى **يدخل آباؤنا**. فيقال: **ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم**.[٤]

٦. عباد الله، والنوع السادس من الشفاعات التي ستكون يوم القيامة؛ **شفاعة القرآن للمؤمنين**، ودليلها حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة **شفيعا لأصحابه**، اقرؤوا الزَّهراوين؛ البقرة وسورة آل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غَيايتان[٥] أو كأنهما فِرْقان من طيرٍ صوافَّ[٦]، **تُحاجَّان عن أصحابهما**.[٧]

- وبعد، عباد الله، فهذه ستة أنواع من الشفاعات التي تكون يوم القيامة، يستفيد منها المؤمنون الذين دخلوا النار في الخروج منها، ومن لم يدخل النار في دخول الجنة.
- بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا **أن** هذه الشفاعات المذكورة لا ينالها كل أحد، بل من تحقق فيه شرطا الشفاعة قَبِل اللهُ الشفاعة فيه، ومن لا فلا، وهذه الشفاعة هي

---

١ أي دفقة من دمه.

٢ رواه الترمذي (١٦٦٣) وابن ماجه (٢٧٩٩) وأحمد (١٣١/٤)، وصححه الألباني في «الجنائز»، ص ٥٠، سنة ١٤١٢ هـ.

٣ أي البلوغ.

٤ رواه النسائي (١٨٧٥)، وأحمد (٥١٠/٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٨٠).

٥ الغمامة معروفة، والغياية هي كلُّ ما أظلّ الإنسانَ فوق رأسه. انظر «النهاية».

٦ فِرقان أي قطعتان، وصوافُّ جمع صافَّةٍ، أي باسطاتٌ أجنحتها في الطيران. انظر «المعجم الوسيط».

٧ رواه مسلم (٨٠٤) وأحمد (٢٤٩/٥).

التي تسمى بالشفاعة المثبتة، أي ثابتٌ تحققها، وشرطا الشفاعة هما: **إذنُ اللهِ للشافعِ أن يشفعَ**، ودليل هذا الشرط قوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا **بإذنه**﴾، وقوله تعالى ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن **أذن له**﴾.[١]

والشرط الثاني: رِضى الله عن المشفوعِ له، ودليل هذا الشرط قوله تعالى ﴿ولا يشفعون إلا لمن **ارتضى**﴾، وقوله تعالى ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن **ورضي** له قولا﴾.

وقد جمع الله هٰذين الشرطين في قوله تعالى ﴿وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن **يأذن** الله لمن يشاء **ويرضى**﴾.

ومما يدل على أن الشفاعة لا تكون إلا بعد الرضى عن المشفوع له؛ أن إبراهيم عليه السلام سيشفع لأبيه آزر ولكن لن يَقبلَ اللهُ شفاعتَهُ لكونه من المشركين، مع أن الشافع هو إبراهيم عليه السلام، خليل الرحمٰن.

- معاشر المؤمنين، ومما ينبغي أن يُعلمَ أنَّ رِضى الله عن العبدِ لا يكون إلا بتحقيق التوحيد الذي هو إخلاص العبادات له سبحانه، من صلاة ودعاء وذبح ونذر وغير ذلك، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ... وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة، إن شاء الله، من مات من أمتي **لم يشرك بالله شيئا**.[٢]

فهذا الحديث وأشباهه يدل على اشتراط إخلاص العبادات كلها لله من دعاء وغيره لمن أراد أن يكون ممن سَعِدَ بشفاعة الشفعاء يوم القيامة، أما من وقع في الشرك كدعاء المخلوقين أو الذبح لهم والنذر ونحو ذلك فإنه لن يشفع له أحد ولو فعل ما فعل، وحتى لو شفع له أحد فإن شفاعته ليست مقبولة ولو كان الشافع له هو الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأن الشرك من موانع الشفاعة.

- اللهم ارزقنا شفاعة الشفعاء في الآخرة. اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. اللهم ارزقنا حبك، وحب كل عمل يقربنا إليك. اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم. رب اغفر لنا ذنوبنا كلها، دِقَّها وجُلَّها، وأولها وآخرها، وعلانيتها وسرها. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم صل على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، في التاسع والعشرين من شهر محرم لعام ١٤٤٣، وهي منشورة في www.saaid.net/kutob

---

١ نصَّ القرآنُ في واحدٍ وعشرينَ موضعا على نفيِ حصولِ الشفاعةِ يوم القيامةِ إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، مادة شفع.

٢ رواه الترمذي (٣٦٠٢)، وقال حديث حسن صحيح.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون). (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا).(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما). أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، اتقوا الله تعالى وراقبوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أن الله حكيم في تشريعه، حكيم في تقديره، حكيم في جزائه، وإن من حكمة الله تعالى أن جعل لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلَّفهم به على ألسنة رسله، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُون * فتعالى الله الملك الحق﴾.

أيها المؤمنون، تقدم الكلام في خطبٍ سبعة ماضية عن بعض مقتضيات الإيمان باليوم الآخر، وهي النفخ في الصور، وعلامات الساعة الكبرى، وبعث الخلائق، وحشر الناس إلى أرض المحشر، والجزاء والحساب، ونعيم الجنة، وصفة النار، وبعض مشاهد القيامة، ثم عن أنواع الشفاعات يوم القيامة، وفي هذه الخطبة نتكلم بإذن الله عما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر، وهو **الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه**.

- **عباد الله**، الفتنة هي السؤال والاختبار، والمقصود بفتنة القبر سؤال الميت بعد دفنه عن ربه وعن دينه وعن نبيه، فإن كانت الجنازة صالحة ثبَّتها الله عند السؤال فوُفِّقت للإجابة الصحيحة، وإن كانت طالحة لم تُوفَّق للإجابة فعُذِّبت عياذا بالله.

وقد ورد في إثبات سؤال الميت في قبره أحاديث ثلاثة:

- **الأول**: ما رواه البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: إن العبد إذا وُضِع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قَرعَ نعالِهِم؛ أتاه مَلَكان فيُقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل، لمحمد (صلى الله عليه وسلم)؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيُقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة. فيراهما جميعا. وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: (لا دَريت ولا تَليت)، ويُضرب بمطارقَ من حديدٍ ضربةً، فيَصيحُ صيحةً يسمعُها من يَليهِ[1] غيرُ الثَّقَلين[2].[3]

---

[1] الذي يظهر من كلام ابن حجر رحمه الله في «الفتح» أن المقصود بقوله (من يليه) أي الحيوانات، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البزار: (يسمَعُهُ كل دابة إلا الثقلين).

[2] الثقلان هما الإنس والجن، قال ابن حجر في شرح الحديث: لأنهم كالثُّقل على وجه الأرض.

[3] رواه البخاري (١٣٧٤).

- **ومن الأدلة على ثبوت** سؤال الميت في قبره حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن الملكين يأتيان الميت المؤمن بعد دفنه فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيقولان له: وما عِلمُك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدّقت. فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي، فأفرِشوه من الجنة[١]، وألبِسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة. قال: فيأتيه من رَوْحِها[٢] وطيبها، ويُفسح له في قبره مدَّ بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسُرُّك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجِع إلى أهلي ومالي.

ثم قال في الكافر: ويأتيه ملكان فيُجلِسانه فيقولان له: من ربك؟ **فيقول: هاه، هاه، لا أدري**. فيقولان له: ما دينك؟ **فيقول: هاه، هاه، لا أدري**. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ **فيقول: هاه، هاه، لا أدري**. فينادي منادٍ من السماء أن كذَبَ، فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باب إلى النار، فيأتيه من حرّها وسَمومها، ويُضيَّق عليه قبرُه حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، مُنتِنُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت، فوجهُك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: ربِّ لا تُـقِم الساعة.[٣]

- **عباد الله، والدليل الثالث على ثبوت** سؤال الميت في قبره ما رواه البخاري في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ... ولقد أوحِي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور مثل – أو قريبا من فتنة الدجال، يؤتى أحدكم فيُقال له: ما عِلمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا. فيقال له: نم صالحا، فقد علِمنا إن كنت لموقِنا. وأما المنافق أو المرتاب – لا أدري أيتهما قالت أسماء – فيقول: لا أدري، سمِعت الناس يقولون شيئا فقلته.[٤]

فدلَّت هذه الأحاديث الثلاثة على أن الميت يُسأل في قبره، فالمؤمن يثبته الله عند السؤال ويوفقه للإجابة الصحيحة، ولو كان من أهل المعاصي، كما قال تعالى ﴿يُثَبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾، وأما الكافر والمنافق فلا يُجيبان، فيعاملهما الله بما يستحقان.

- معاشر المؤمنين، **والأمر الثاني مما يلتحق بالإيمان باليوم الآخر؛ عذاب القبر ونعيمه**، ودليل ذلك حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ اللهَ أن يُسمِعَكُم من عذابِ القبرِ الذي أسمعُ منه. ثم أقبل بوجهِهِ فقال: تعوَّذوا بالله من عذاب النار. فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. **فقال: تعوَّذوا بالله**

---

[١] أي اجعلوا له فراشا من الجنة.

[٢] قال الملا علي القاري في «مرقاة المفاتيح»: (مِن رَوحها) ؛ أي بعض رَوحها، والروح بفتح الراء ؛ الراحة ونسيم الريح.

[٣] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/٢٨٧) في حديث طويل، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصحح إسناده محققو «المسند» وقالوا: رجاله رجال الصحيح، وكذا صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٦٧٦) و «مشكاة المصابيح» (١٦٣٠).

[٤] أخرجه البخاري (١٠٥٣)، والشك في اللفظين من عند هشام بن عروة.

من عذاب القبر. فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوَّذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: تعوَّذوا بالله من فتنة الدجال.قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال.[١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إذا تشهَّدَ أحدُكم فليَسْتعذ بالله من أربعٍ، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، **ومن عذاب القبر**، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال.[٢]

- **عباد الله،** وعذاب القبر يكون لطائفتين من الناس؛ عصاة المؤمنين، والكافرين، ودليل الأول حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ رسولُ الله (صلى الله عليه وسلم) على قبرين، فقال: أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يَستَتِر[٣] من بولِه.[٤] فالنميمة من كبائر الذنوب، وكذلك عدم التنزه من البول، استحق مرتكبهما عذاب القبر بقدر ذنوبهما تمحيصا لهما، وكذلك غير هٰذين الذنبين من الذنوب، يعذب بقَدْره في قبره، لأن القبر دار جزاء.

- وأما الدليل على عذاب القبر للكافرين فقوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ والملائكة بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ **الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ** عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، فقوله ﴿اليوم تجزون﴾ دليل على أنهم سيباشَرون العذاب فورا.

وقال تعالى في آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾، فقوله ﴿غدوا وعشيا﴾ أي قبل قيام الساعة، لأنه قال بعدها ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾، ففرَّق بين العذاب الذي يكون قبل قيام الساعة والذي يكون في حينها.

- وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾، ووجه الدلالة من الآية قول الله على لسان الملائكة ﴿**وأبشروا بالجنة**﴾، وهذا يكون حال التَّوفِّي وخُروج الروح، فالبشارة بالجنة حال التوفِّي وخروج الروح يعد من النعيم، وهو الشاهد.

- ومن أدلة القرآن على نعيم القبر قوله تعالى ﴿**فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ** * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾. ووجه الدلالة من الآية أن هذه البشارة بنعيم الرَّوح[٥] والريحان وجنةِ النعيم يكون **إذا بلغت الروح الحلقوم** كما دلت عليه الآية، وهذا فيه دلالة على النعيم الذي يلقاه الإنسان يكون مبدؤه عند موته، وهو أول نعيم القبر.

- ومن أدلة القرآن على نعيم القبر قوله تعالى ﴿كذلك يجزي الله المتقين * الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم **ادخلوا الجنة** بما كنتم تعملون﴾، ووجه الدلالة من الآية قوله تعالى على لسان الملائكة حال توفيهم للمؤمنين: ﴿ادخلوا الجنة﴾.

---

[١] رواه مسلم (٢٨٦٧).

[٢] رواه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨)، واللفظ لمسلم.

[٣] أي لا يجعل بينه وبين بوله سترة، فيصيب الثوب نجاسة بوله.

[٤] رواه البخاري (٢١٦) ومسلم (٢٩٢)، واللفظ لمسلم.

[٥] الرَّوح هو الراحة، وقد تقدم بيان معنى (الروح)، وانظر تفسير ابن كثير للآيات المتقدمة.

- ومن الأدلة كذلك على بشارة المؤمن بالنعيم قُبَيل خروج روحه قوله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي﴾.
- وقد دلت السنة على أن المؤمن يُبشر بالنعيم قبل خروج روحه، كما في حديث البراء بن عازب المتقدم، وفيه قول الملكين للمؤمن بعدما يجيب الملكين على أسئلة القبر: (أيتها النفس الطيبة، أُخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوان)، فتفرَح الروح وتخرُج خروجا سهلا، ثم قال: ثم ينادي مناد من السماء أن صَدَقَ عبدي، فافرِشوه من الجنة، وألبِسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة. قال: فيأتيه من رَوحِها وطِيبِها، ويُفسَح له في قبره مَدَّ بصره.

قال: ويأتيه رجل حَسَنُ الوجه، حَسَنُ الثياب، طَيِّبُ الريح، فيقول: أبشِر بالذي يَسُرُّك، هذا يومك الذي كنت تُوعد. فيقول له: من أنت، فوجهُك الوجهُ يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: ربِّ أَقِمِ الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.[1]

- وبعد عباد الله، فهذه أدلة قطعية من الكتاب والسنة على ثبوت فتنة القبر وعذابه ونعيمه، لا يخالف في ذلك إلا زائغ.
- بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد، فاتقوا الله عباد الله، واعلموا **أن الإيمان باليوم الآخر**[2] **له ثمرات عديدة، أهمها:** الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرِّضى بها خوفًا من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

الرابعة: العلم بعدل الله تعالى، حيث أنه سيجازي العباد على أعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

الخامسة: العلم بحكمة الله تعالى، حيث أنه لم يخلق العباد عبثا، بل خلقهم لحكمة بالغة وهي عبادته، بفعل الطاعات واجتناب المنهيات، ثم يحاسبهم على ذلك في الآخرة.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب جهنم ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم ارزقنا حبك، وحب كل عمل يقربنا إليك.

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا ظلما كثيرا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك، وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

رب اغفر لنا ذنوبنا كلها، دِقَّها وجُلَّها، وأولها وآخرها، وعلانيتها وسرها. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم صل على نبينا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/٢٨٧) في حديث طويل، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصحح إسناده محققو «المسند» وقالوا: رجاله رجال الصحيح، وكذا صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٦٧٦) و «مشكاة المصابيح» (١٦٣٠).

[2] هذا القسم مستفاد أكثره من «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين، ص ١٠٥ .

خطبة مختصرة في مقتضيات الإيمان باليوم الآخر – جزء ٨/٨ (الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه)

أعد الخطبة: ماجد بن سليمان الرسي، واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١، في السادس من شهر صفر لعام ١٤٤٣، وهي منشورة في www.saaid.net/kutob